عيد الملك

وكيف يجب أن يكون

سنة حميدة يتناولها اليوم المغرب الاقصى عن أخيه الشرق العربي مبعث النور ومصدر الشعور ، وقدوة حسنة ياخذها هذا القطر المتدرج في مدارج الرقي الفكري والاخذ في طريقه الى النهوض العقلي فيحسن الاقتداء ويبرهن بها عن عاطفة نبيلة وشعور نامي واحساس شريف.

تلك السنة الحسنة والقدوة الطيبة هي الاحتفال بذكرى تتويج صاحب العرش المحمدي واقامة معالم السرور واظهار ما تكنه الافئدة والصدور من تعلق الشعب المغربي بسلطانه المبجل ومليكه الاعظم ، وانه لجميل أن يتفطن أحرار المغرب ورجال التفكير فيه في حالته الراهنة وظرفه العصيب الى هذه المناسبة فيسرع الى اقامة البرهان المحسوس والحجة القاطعة على أن الشعب المغربي يقدر قدر مليكه المحبوب من القلوب ويحفظ له بين الجوانح عظيم الاعتبار ووافر الاخلاص والاحترام في كل ما مناسبة وكل حين ، وفي ذلك بلاغ لمن يحاول أن يجعل النفرة بين مليك البلاد وشباب رعيته اليقظ وقطع لألسنة المتخرصين منهم ممن يريد استغلال هذه الناحية ويتحدث بما أوحته اليه نياته الفاسدة وفكره الآسن من ترويج مفتريات لا نصيب لها من الحقيقة ولا تتفق مع الواقع الملموس .

ولعمر الله ان هذا الشعب الكريم بما فيه من شيوخ وكهول وشباب وأطفال ليقول الحق ويعترف بالجميل وما انفك وفياً مخلصاً ومعترفاً لصاحب الجلالة بما أسداه من أيادي بيضاء وفعل جميل تكفل التاريخ بحفظها بعد ما لهجت الالسن بذكره وفي كل عمل ومشروع آية له تدل على عنايته برعيته واهتمامه بشئون أمته .

وأكبر آية له هذه النهضة الوثابة والحركة المباركة القائمة الآن بالمغرب والتي ظهرت وتجلت للعيان وسارت سيرها المحمود منذ جلس على كرسي الملك ، فانبثق فجر النهضة واسفر عن عصر جديد رفع ذكر المغرب عالياً وخلد له صفحة ذهبية سجلتها صحف الشرق ونوه بها القريب والبعيد ، تلك النهضة نهضة الشباب المثقف العامل لصالح وطنه وتلك الحركة حركة النقد والتفكير وتمحيص الحقائق التي ظهرت في عصره وكانت مخبوءة من قبل فهيأ الله ظهورها يوم ان عرف أن ملك المغرب الذي له السلطة والنفوذ وحق التشريع ملك شاب مثقف حاز من الحصافة والاقتدار حظاً كبيراً .

واذا كان هناك في الماضي الغابر ما حال دون اظهار جميل الاعتراف باقامة عيد سنوي لصاحب الشوكة فامكن وساعدت الظروف على افساد الجوّ وتسميمه بمفتريات لا تستند على شيء من الحق فإنّ للتاريخ عودة وللزمن دورة وهو وحده الكفيل بكشف الحقيقة وتنقية جوانبها مما علق بها من اصداء تحجبها مهما طال الزمن وامتدّ حبل الايام .

وها هو التاريخ يعيد نفسه ، وها هي الفرصة السانحة قد وافت على غير ما ميعاد ، وها أنا المح اليوم في الوجوه بشراً يعلوها ونضرة السرور تطفح من محياها تحدثان بما تضمّ الصدور وتخفق به القلوب من الرضى واقرأ في كل طلعة من هذا الملأ المحتشد للاحتفال — ان كنت ادركت قليلا من علم النفس — آية الفخر وامارة الاعجاب بعيد مليكنا المحبوب .

وبالحقّ أنّ فخار هذه الامة بسلطانها فخار مشاع ، وواجب وجوباً أكيداً اتخاذ يوم جلوسه على العرش عيداً رسمياً ويتأكد الاحتفال به احتفالاً شعبياً يتظافر فيه القاصي والداني من سكان هذه الجهة المغربيه على تعطيل الاعمال وإيقاف الاشغال واقامة معالم الزينة في كل مكان.

بيد أن هذا ليس بكاف وحده ولا نريد أن يمرّ هذا اليوم كما يمر غيره من الايام ولم يترك آثاراً في النفس وطابعاً خاصاً يتميز به بل يلزم أن يضع البارزون من الاعيان والمثقفون من ابناء الشعب برنامجاً واسعاً يتمشى عليه ويكون في مقدمته وضع نشيد سلطاني يلحن أحسن تلحين وينشده تلاميذ المدارس يوم الذكرى في منتزه رحب بل يتغنى به من العموم والخصوص وتقيم بقية الجمعيات الادبية الموجودة في المغرب مهرجاناً فاخراً تتلى فيه محاضرات قيمة وخطباً نافعة وقصائد شعرية خالية من الحشو والتقليد العقيم وتتناول حياة الملك وعصره الزاهر بما فيها من عظة وذكرى تنتفع بهما الامة وتفتح باباً من أبواب الحياة الادبية الزاهية وتكوّن حركة جدية تعرّف الناس ان ذلك اليوم رمز لوجود أمة في الارض لها حضارة في القديم ومجد في الغابر وعلى رأسها ملك مطاع من رعية مسلمة تمتدّ إلى الصحراء وتتعلق به وتفخر بوجوده ، أما ان نقتصر على اكل الحلويات وتناول المشروبات دون ان نفقه لذلك اليوم معنى ، وأما ان يمر ذلك العيد من غير أن نتفطن لمغزاه كما تمر بقية الاعياد الاسلامية ومختلف المواسم الفاضلة التي لا يعدو الاحتفال بها تجديد الملابس وتصافح الايدي من غير أن تصفو القلوب من اكدارها ومكرها فليس ذاك والله هو المقصود وما هو بالغرض المنشود.

اكثر ما أتحسر على الاعياد الاسلامية التي تمر علينا ايامها بالمغرب وأكثر ما أكون متأملا في الحفلات التي تقام بمناسبتها فلا أجد في غضونها مظهراً يصح ان ينطبق عليها ويليق ان يمثل في مناسبتها الاسلام وعظمته ومفخرة من مفاخره الكثيرة المتعددة النواحي ، وهذا ناشيء عن ضعف في الناس وجهل ظل مسيطراً على السواد الكبير تسبب عنهما ضياع السر من تلك المواسم ، وتبدد المغزى ، واحتفظنا بقشور لا تغني شيئا ، وزينة مآلها البلى ، وقبيح بنا ونحن في طور انتقال من جمود الى حركة ان لا نكون كالشرقيين حتى في هذه المظاهر المشخصة لنوع من حياة الاسلام ومبلغ مكانته في القلوب.

الامم كلها تسير نحو المثل الاعلى من الرقي ، وتنشد الوصول الى المطمح الاسمى من النهوض ونحن نكتفي بالمشاهدة ومطالعة الاخبار في الصحف والاعجاب بالابحاث والاكتشافات ، اما ان نعمل كما يعملون فلست اعلم متى يتاح ذلك ، وعسى أن يكون هذا العيد الملوكي السعيد فاتحة عصر جديد وخطوة اولى تتلوها خطوات أوسع مدى يتجلى فيها انتاج أدبي مفيد وحركة علمية واسعة النطاق ، وبذلك نكون قد قمنا بالاحتفال كما يجب وجئنا بجديد ينتفع به الناس ويخلده التاريخ صفحة ناصعة مجيدة ، وليس من بأس على المحتفلين بالعيد السلطاني اذا أقاموه في الشهر العربي ٢٢ جمادى الثانية المطابق ليوم جلوسه وفق رغبة الشعب وحتى لا يقال اننا عالة حتى في الشهور والايام والبلاد عربية والملك عربي واللغة عربية وابناؤها للغتهم اوفياء.

ابن عباس

بلغتنا مقالات في القرويين وفي ترجمة القرآن وسننشرها في العدد المقبل إن شاء الله.